مواقف وروائق

"الكيان الفلسطيني"

٣ تيارات اسرائيلية

دايان وايبان وبافاحي

خبر صغير نشرته الصحف الاسرائيلية في زاوية غير بارزة ، في السابع والعشرين من الشهر الماضي ، اشار الى ان المليونير عبد النور جنحو (من رام الله ، وبلغ رضى اسرائيل عنه انها باتت تنتج نوعا من الشوكولاته باسمه) اقام حفلة لبعض الضيوف الاميركيين حضرها ـ بالاضافة لمسؤولين اسرائيليين ـ ايوب مسلم ، وعزيز شحاده وفائق بركات والسيدان قرمان وسلطي ، مؤكدة ان الاولين من دعاة « الكيان » .

والضيوف الاميركيون هؤلاء ، الذين احتفى بهم المليونير المتعاون المذكور هم : السيدة كاترين غراهام (ناشرة مجلة « نيوزويك » الاميركية ، و « واشنطن بوست ») واحد ابرز محرري «النيوزويك»الكويت لاتسفر .

وكي يكتمل الخبر ، علينا ان نذكر ان الاميركيين المشار اليهما ، قبل ان يحتفي بهما المليونير جنحو ، كانا قد عقدا اجتماعا مع موشيه دايان وحايم بارليف وتيدي كوليك رئيس بلدية القدس، واشترك في هذا الاجتماع اشخاص عرب وصفتهم الصحف الاسرائيلية بانهم « من زعماء الضفة الغربية المحتلة الذين يدعون الى الكيان الفلسطيني » .

ومن المتطقي الاعتقاد بان اولئك الذين ذهبوا عند جنحو كانوا ممثلين عندما كان الضيفان عند دايان ، ويبدو ان الحديث دار ـ كما يدور الآن ـ حول الكيان الفلسطيني ، الذي صار الان عملة رائجة يتبادلها المحتلون مع المتعاونين .

فما هي قصة الكيان ؟

والى اين وصلت الان في رحلتها بين المحتلين الاسرائيليين ، وبينهم وبين المتعاونين ؟

٣ تيارات اسرائيلية

رغم الفوايا الاسرائيلية الصريحة ، في ابتلاع الاراضي التي استولت عليها اسرائيل في حرب حزيران ، الا ان مشروع « الدولة الفلسطينية » ، او « الكيان الفلسطيني » ، لا يزال مطروحا في الاوساط الاسرائيلية ، وفي تجمعات رجالات من الضفة الغربية ، معروفة بارتباطها بالاحتلال الاسرائيلي .

قبل التوغل في تفاصيل هذا المشروع وملابساته ، والظروف التي احاطت بفكرة ولادته ، ينبغي ان نلقي نظرة على التيارات السياسية البارزة في اسرائيل ، والتي تحدد موقفا من موضوع الاحتلال .

■ اولا : التيار الذي يمثله دايان وزير الدفاع ، والذي لا يخفي رغباته واطماعه في الحاق المناطق المحتلة نهائيا باسرائيل ، ويلاقي هذا التيار نفوذا وقبولا واسعين في اوساط حزب العمل الحاكم .

■ ثانيا : التيار الذي يتزعمه ابا ايبان وزير الخارجية ، وبنحاس سابير المسكرتير العام لحزب العمل ، والذي يعارض ضم المناطق المحتلة اقتصاديا وسياسيا ، وما يلحق ذلك من دمج المناطق اقتصاديا ، وتوظيف الاموال فيها واستخدام عمالها ، وتطبيق القانون الاسرائيلي عليها ، وبناء مستوطنات يهودية في مناطق لا تعتبر ذات قيمة كبرى بالنسبة لامن اسرائيل ، بالقرب من نابلس وجنين مثلا .

■ ثالثا : التيار الذي يدعي « بعد النظر » و «الرؤية الشمولية» و «توظيف المستقبل» والذي يدعو الى فكرة الكيان ،كحل جذري ، بمنأى العنصر الفلسطيني، ويفقد العرب «الاسباب الرئيسية لنزاعهم» مع اسرائيل .. ويمثل هذا التيار دان بافلي الذي شغل منصب مستشار الحكم العسكري في الضفة الغربية المحتلة .

وبينما يعتبر بافلي ، المشروع قابلا للتطبيق ، فان ميشال ساسون ، مستشار رئيسة الوزراء في شؤون المناطق المحتلة ،يؤيد الفكرة نظريا ، ويجعلها فقط في خدمة «الاستهلاك الدولي» . اذ بعد ان سخطت الآمال في اجراء مفاوضات مباشرة مع العرب ، فلا بأس من نشر هذه الفكرة ،وابراز العنصر الفلسطيني القائم في مناطق الاحتلال كطريق لتسوية الازمة .في الوقت الذي يؤكد فيه ميشال ساسون هذا « ان الاسرائيليين الذين ينادون باقامة دولة عربية فلسطينية ، او كيان (فلسطيني) في الضفة الغربية انما يطاردون الظلال ويتكلمون في فراغ » .

توقيت الدعوة

يرى دان بافلي ، ان ثمة خطرا قائما ،وهو ان تضطر اسرائيل الى القيام بتنازلات بسبب الضغوط الدولية ، مما يدعو الى قطع الطريق على هذا الاحتمال بالمبادرة في اجراءات «تصفية التعايش» بين عرب المناطق المحتلة واسرائيل ..

ولا يعتبر دافلي مشروعه هذا مجرد « الدردشة » ولكنه يقترح ان تعرضه غولدا مايير على الرئيس نيكسون ، اثناء زيارتها المزمع القيام بها في ايلول القادم.

ويكشف دافلي مشروعه في نقطتين رئيسيتين :

■ اعادة توطين اللاجئين الفلسطينيين.

■ اقامة الكيان الفلسطيني تدريجيا بشكل يضمن « امن الفلسطينيين » والاسرائيليين ومصالحهم الاقتصادية ،على حد تصوره .

توطين اللاجئين

يجري توطين اللاجئين في الضفة الغربية وقطاع غزة ، وفي فترة تتراوح بين ١٠ سنوات و ١٥ سنة ، بنفقات تتراوح بين ٢٠٠ و ٣٠٠ مليون دولار سنويا ومجموعها يصل الى ٣٠٠٠ مليون دولار .

« هونكونغ الشرق الاوسط »

تعني هذه الخطوة في تقدير دافلي ،تشجيع الاستثمار وتصنيع الضفة الغربية، وتحويلها الى «هونكونغ الشرق الاوسط»، اي مركز نشاط اقتصادي وتجاري ، يكون في ما بعد ، بمثابة جسر اقتصادي الى «الجيران العرب» .

قبل ان نستأنف عرض خطوات دافلي تجدر الاشارة الى انه بين هذا المخطط واحلام ادمون دي روتشيلد (في المؤتمر الاقتصادي الذي عقد في القدس ـ حزيران ١٩٦٩) نسب واضح ، فقد اعرب هذا الاخير عن تطلعه الى الشرق الاوسط قائلا ان هذا هو ميدان اسرائيل لان تكون ملحقا باوروبا .

الشرق الاوسط .. الياباني !

يستوحي بافلي فكرته ـ رغم اعترافه بالوضع الفريد من نوعه القائم في الاراضي المحتلة ـ من العلاقة القائمة بين الولايات المتحدة (اسرائيل تقوم مقامها) واليابان (المقصود هنا الضفة الغربية) .

فقد ساعدت الولايات المتحدة اليابانيين على اعادة تنظيم حياتهم فقضوا على النظام الاقطاعي واقاموا نظاما ديمقراطيا!

ويكتب بافلي : وحتى اليوم وبعد مرور ٢٤ سنة من الاحتلال يحافظ الاميركيون على وجودهم العسكري ويحظون بتعايش اليابانيين معهم .

ويشير بافلي الى ضرورة اقامة حكومة محلية تحل مكان الحكومة العسكرية ثم يجري انتخابات رؤساء البلديات ومجالسها، وبعد ذلك يختار العرب من يشرف على دائرتي الصحة والتعليم ، وشيئا فشيئا (بالتربية الديمقراطية الاصولية !) ، يتمتع جميع العرب نساءا ورجالا بحق الانتخاب وينتخبون هيئاتهم وبازدياد تحملهم مسؤولياتهم تتقلص الحكومة المدنية .. الاسرائيلية .

حامي الحمى !

اما امن الكيان الفلسطيني ، فيتكفل به جيش الدفاع الاسرائيلي ، وبشكل تام وكاف .

ولا يعارض بافلي ـ من جهته ! ـ في انتساب الكيان المنفصل (وكلمة منفصل تعجبه اكثر من كلمة مستقل !) الى الامم المتحدة ، بشرط ان يبرهن الكيان عن استعداده الواضح للتعايش مع اسرائيل.

ويبين بافلي ان هناك « دلائل في الوقت الحاضر تشير الى ان مقاومة الزعماء العرب للحل السلمي في ازدياد لذلك فبعض هذه الاجراءات المقترحة ، سينفذ في كل مناخ مناسب مثل تغيير الانظمة العربية او اشتعال حرب في الشرق الاوسط .. »

وينتقل الى الشروط المحلية ، وتتمثل بالدرجة الاولى في تحرر رجالات العرب ، من عقدتهم الرومانطيكية (الخيانة) .

ثم تصفية الشعب العنيف والنشاط الارهابي ، وقيام الانتخابات بشروط بمساعدة العرب للاسرائيليين في القضاء على الارهاب .

وبعد توفر شرطي التحرر والعقلانية ، ينبغي وصول الرجالات الفلسطينيين الى الموضوعية المتمثلة في القبول بقدس موحدة، وبتحصيل الحاصل لا مجال للتفكير بجعل القدس الشرقية عاصمة للكيان المقيد .

هذا هو برنامج الكيان واهدافه .

لكن ما هو موقف « الرجالات »الفلسطينيين المعقود عليهم الامل في محاولة تنفيذه واخراجه الى حيز الوجود ؟

مدرستان في « التعاون »

هناك ما يطلق عليه اميل توما في جريدة « الاتحاد » الصادرة في فلسطين المحتلة ، مدرستان تتجاذبهما هذه الفكرة:

● المدرسة الاولى تقبل باطار الاحتلال وتريد الكيان في حدوده ، بدون سلطة ، مع الفلسطينيين في الخارج ، اي فتح المجال لهؤلاء للدخول والخروج ، ويعتبر محسن الخليلي ابرز ممثل لها .

● والمدرسة الثانية التي تفضل« التعايش » بين اسرائيل ودولة فلسطينية فتية . ويمثلها (بجدارة !) الدكتور حمدي الفاروقي (تعرض لمحاولات اغتيال عديدة من رجال المقاومة ، وهو جمنزله في رام الله اكثر من مرة) .

والمشروع بالنسبة للخليلي (وهذا ليس من ابناء الخليل بل منسوب اليها الى نابلس الباسلة) ، كما كتب في جريدة« الانباء » في ١٩٦٩/٧/٢٢ ، في معرض تأييده لمحمد ابو شلباية (شيوعي سابق يرأس جبهة الاخوان المسلمين اخيرا) في تقييمه لمولد الفلسطيني الجديد « الذي يستطيع ان يزن الامور بميزانها الصحيح، يطالب بحقوقه المشروعة بالطرق المشروعة ويمكنه ان يميز الخبث من السمين ليكون المحطة النهائية للسلام » .

واردف ان الفلسطيني الآخر « ما يزال يعيش حياته التي رسمها لنفسه او رسمت له .. مسببا بالكراهية والبغضاء ليس فقط لاسرائيل بل كذلك للدول العربية » !

اما الثاني (الفاروقي) فكتب في « التحدي » التي يصدرها محمود ابو الزلف « ان رأيي ان نعيش على ارضنا على اساس قرارات الامم المتحدة فان قامت الدولة على هذا الاساس يجب ان تكون صلتها باسرائيل صلة سلام وامان وحسن جوار » .

الكيان المستحيل !

هناك مفارقة واضحة وهي أن دافلي حامل هذه الفكرة مقتنع تماما باستحالتها تماما ، اذ انه متفق مع تصريح ميشال ساسون ـ واعتمادا على تصريحات موشي دايان في « ملحق هشمار » (١٥ ـ ٧ ـ ١٩٦٩) ، في ضم المناطق (رغم انه لا يبدو ظاهريا كذلك) عندما اشار الى ضرورة وقوع المجابهة ، او ضرورة تغيير الانظمة العربية .

كما ان موشي ساسون يضع اصبعه على النقطة الجوهرية الفارقة اذ يقول : « ليس في الافق كيان فلسطيني في المناطق المحتلة لان الشخصيات العربية ترفضه ايمانا منها بأن الجماهير ترفضه اشد الرفض ، وترفض الاحتلال المرافق له » .

هذا اعتراف صريح من مستشار رئيسة الوزراء لشؤون المناطق المحتلة .

لكن لماذا التلويح بهذه الفكرة ؟

● اولا : كما قلنا في بداية المقال :للاستهلاك الدولي . فالمقاومة الفلسطينية ابرزت بوضوح ، تلك الشخصية ، التي جهدت مؤامرات عديدة لدفنها ، وعزلها عن معركتها ، وبالتالي ابراز بديل آخر لهذه الشخصية . وهو العنصر الفلسطيني في المناطق المحتلة الذي يرضى بالاحتلال ،وبالكيان المزور ، والمستعد للرضوخ للاحتلال ، واقامة « سلام » مع اسرائيل. كتب بول جونسون في «نيوستيتسمان» البريطانية في (١٨ ـ ٧ ـ ١٩٦٩) في مقاله «اسرائيل صانعة السلام النضالية» ان افضل آمال المستقبل هو نمو الشخصية الفلسطينية وحصول اتفاق بين الفلسطينيين والاسرائيليين باعتبار وجود حقوق متساوية لهما » .

● ثانيا : القيام بعملية مراوغة على الشعب الفلسطيني ، يكون من مهمتها التدليل بأن اسرائيل راغبة فعلا بالسلام ،وهي مستعدة للخروج من مرحلة الاستعداد الشفوي ، الى التنفيذ ، وذلك كي لا ينحو بصفوف المقاومة ، ويسحب الارض من تحت اقدامها ، وهذا هو الدافع الرئيسي .

فاسرائيل تدرك أن الفلسطينيين ظلوا عشرين سنة يكنون لها الكراهية ، وا طول هذه المدة عمل على ايجاد ركام من الحقد في اعماقهم ، ضدها . لذلك ترى بانه من المريح ، زعزعتهم ، والتبيين لهم ،بان قناعاتهم السابقة لم تكن على صواب مما يحدث عندهم زلزال نفسي ، يجعلهم يفقدون وضوح الرؤية .

لقد بدأ يتضح الآن بأن الشخصية الفلسطينية ، والمتمثلة بالكفاح المسلح السائر على طريق حرب التحرير الشعبية ،باتت الآن عاملا رئيسيا في توجيه احداث المنطقة ، وانها في سبيل فرض وجودها.. عمليا .

ومن هنا تأخذ المناورات عليها طابع الهوس احيانا ، و « الذكاء » البائس احيانا اخرى .

كما ان اعتراف ساسون ، وضع الحقيقة في موقعها المناسب . الجماهير ترفضه اشد الرفض . الشخصيات العربية ترفضه . الاحتلال اصبح مرفوض .

ولا يضير الشعب الفلسطيني بعد ذلك ، اجتهادات نفر من الموجهاء يحسبون انفسهم عليه ، بينما هم لا يمثلون سوى الجبن والعمالة .

اما الكيان الفلسطيني الحق ، فتبنيه الآن سواعد المقاومة المسلحة ، ومن خلفها جماهير الشعب الفلسطيني وجماهير الارض العربية كلها .